رأي القدس

الحرب اللبنانية وفرص السلام

■ الآن وبعد ان هدأ غبار الحرب في لبنان ولو مؤقتا، فإن الدرس الابرز الذي يمكن استخلاصه من وسط الركام، هو ان الحلول العسكرية لا يمكن ان تحل المشاكل والازمات، مثلما كان عليه الحال قبل ثلاثين عاماً.

الادارة الامريكية التي باتت تقود العالم اتبعت اسلوب الحلول العسكرية في كل من العراق وافغانستان، وجاءت النتائج كارثية بكل المقاييس، فالحرب على الارهاب في افغانستان لم تحقق اهدافها في القضاء على تنظيم «القاعدة» وحركة طالبان، رغم مرور خمس سنوات على بدئها، وغزو العراق واحتلاله قدم نموذجاً سيئاً لغرور القوة الامريكية، فلا العراق تحول الى دولة ديمقراطية، ولا القوات الامريكية نجحت في تقديم البديل الذي يبرر خسائرها المادية والبشرية الكبيرة من جراء هذه المغامرة العسكرية.

ايهود اولمرت رئيس وزراء اسرائيل الذي ذهب الى الحرب في لبنان اعتقادا منه بقدرته على تحطيم حزب الله من خلال الغارات الجوية والغزو البري، كان آخر من ارتكب هذا الخطأ الاستراتيجي القاتل، ويبدو انه سيدفع الثمن قريبا. فقد اثبت بقراراته المتسرعة، وغير المتزنة، افتقاده الى الخبرة، والقراءة الصحيحة للتغيرات على الارض.

الحلول السياسية ربما تكون الاكثر فاعلية، والاكثر نجاعة اذا ما جرى استخدامها بشكل جيد، وفي الاطر الدولية، للوصول الى حلول للمشاكل في العالم، ومنطقة الشرق الاوسط على نحو خاص، ولكن المشكلة ان الادارة الامريكية الحالية، تأثرت بالمفاهيم الاسرائيلية الخاطئة، وتبنتها في تعاطيها مع قضايا المنطقة، ولهذا انتقلت من فشل في افغانستان لتقع في آخر في العراق.

السيدة كوندوليزا رايس زعيمة الدبلوماسية الامريكية كانت بطيئة جداً في تحركها لمعالجة الازمة اللبنانية الاخيرة، لاعطاء حكومة اولمرت الاسبوع تلو الآخر لانجاز مهمته في لبنان، وها هي تدفع ثمناً غالياً من جراء هذا النهج، فالحكومة الامريكية خسرت ما تبقى من مصداقية سياستها الخارجية في منطقة الشرق الاوسط، والشق المتعلق منها بنشر الديمقراطية على وجه الخصوص.

التاريخ علمنا ان الحروب الكبرى تفتح ابواب السلام المغلقة باحكام شديد، ولابد ان الادارة الامريكية تملك حالياً، وبعد صدور قرار بوقف المعارك في لبنان عن مجلس الامن الدولي، فرصة ذهبية لاطلاق مبادرة سلام تعالج الاسباب الحقيقية للتوتر في المنطقة.

حرب العراق الاولى اتاحت مثل هذه الفرصة، وحرب العراق الثانية اكدت على ضرورة التحرك لايجاد حل للقضية الفلسطينية لكسب عقول العرب وقلوبهم، وتسهيل «عملية الدمقرطة» التي تبنتها الادارة الامريكية، ولكن جرت اضاعة هذه الفرص، تحت ضغوط الحكومات الاسرائيلية المتعنتة.

فخريطة الطريق التي تبنتها اللجنة الرباعية بعد حرب احتلال العراق ماتت وشبعت موتاً، لان الاطراف المعنية بهذه الخريطة قدمتها على طبق من ذهب لحكومة اريال شارون لتمزقها وتفرغها من اي مضمون، فجاءت النتائج لتصب في مصلحة الاحزاب والحركات الاسلامية المتطرفة، وحشد الرأي العام العربي خلفها، واحراج الانظمة المعتدلة الحليفة لواشنطن.

التعامل الامريكي مع حرب لبنان، وتبني الخيارات العسكرية في التعاطي مع ازمة الجنديين الاسرائيليين الاسيرين لدى حزب الله، والثالث لدى حماس، اعاد المنطقة الى المربع الاول، اي قتل كل الآمال بالسلام والاعتدال، واعاد احياء ثقافة المقاومة، والكفاح المسلح، التي هزت مصداقيتها الهزائم العربية على ايدي اسرائيل في الحروب العربية الاسرائيلية السابقة، وهذا ربما يكون اساس «الشرق الاوسط» الجديد الذي ستبرز ملامحه في الاشهر او السنوات المقبلة.

بوش و«الإسلامي الفاشي»: غلواء ثقافية ضاربة الجذور

صبحي حديدي *

■ هل كان الرئيس الأمريكي جورج بوش بحاجة إلى ذريعة راهنة، نوعية وفائقة من طراز صمود المقاومة اللبنانية وسائر اللبنانيين في وجه العدوان الإسرائيلي البربري، أو مكرورة روتينية من طراز إعلان السلطات البريطانية تفكيك شبكة إرهابية جديدة كانت تستعد لتنفيذ ما هو أشد فداحة من 11 ايلول (سبتمبر) 20001، لكي يتحدث عن «الإسلامين الفاشيين»؟ دانييل بايبس، دون سواه، ينبهنا مشكوراً إلى أن التعبير استُخدم مراراً وتكراراً في أعقاب انهيار البرجين في نيويورك، ليس على لسان بوش وحده بل على ألسنة عشرات الساسة وبأقلام عشرات الكتاب والمحللين، هنا وهناك في الغرب.

وهو على حق، تماماً في الواقع، لأن رقم مستخدمي تعبير «الإسلامي الفاشي»، أو «الفاشو ـ إسلامي»، يُعد بالعشرات فعلياً. ومن الخير للمرء أن يذهب أولاً إلى بوش نفسه، رأس المتفوهين دون أن يكون رأس الحكمة بالضرورة، في خطابه غير الشهير (ولكن الخطير للغاية، وتحديداً في جانب هذه الغلواء العقائدية ضد المسلم بوصفه هوية)، بتاريخ 6 تشرين الأول (أكتوبر) 2005، في «المعهد الوطني للديمقراطية». ولعل تلك البرهة بالذات كانت واحدة من ذرى التقاء الخط المتشدد للمحافظين الجدد إزاء الإسلام، والمزاج الشخصي التبشيري شبه العصابي عند الرئيس الأمريكي، والذي جعله يأنس في ذاته جبروت محاربة الشر على هدي الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة.

في مستهل خطابه قلب بوش الرأي في التسميات والمصطلح، قبل أن يستقر على الصيغة المفضلة عنده: «البعض يطلق على هذا الشر تسمية الراديكالية الإسلامية، والبعض الآخر يعتبره جهادية إسلامية، ويوجد كذلك مَن يسميه إسلامو ـ فاشية. هذا الشكل من الراديكالية يستغل الإسلام لخدمة رؤيا سياسية عنيفة عمادها التأسيس، عن طريق الإرهاب والانحراف والعصيان، إمبراطورية شمولية تنكر كل حرية سياسية ودينية. هؤلاء المتطرفون يشوهون فكرة الجهاد فيحولونها إلى دعوة للإجرام الإرهابي ضد المسيحيين واليهود والهندوس، ولكن أيضاً ضد المسلمين من مذاهب أخرى، ممن يعتبرونهم هراطقة».

بعد هذا الاستهلال، الذي يمزج المقدمات الديماغوجية بنتائج تبسيطية لتلفيق حق يُراد منه الباطل وحده، يختم بوش هذه الخطبة (التي لم تجانب أسبوعية «نيوزويك» الأمريكية الصواب حين اعتبرتها «قنبلة عقائدية») على نحو يجعل المرء يحار حقاً في ما إذا كان اللغة قادمة مباشرة من قاموس الحرب الباردة: «إن الراديكالية الإسلامية، مثل الأيديولوجيا الشيوعية، تحتوي على تناقضات موروثة تحتم فشل تلك الراديكالية. وفي كراهيتها للحرية، عن طريق فقدان الثقة في الإبداع الإنساني ومعاقبة التغيير والتضييق على إسهامات نصف المجتمع، تنسف هذه الأيديولوجيا السمات ذاتها التي تجعل التقدم الإنساني ممكناً، والمجتمعات الإنسانية ناجحة».

هل ينتمي هؤلاء إلى عصور غابرة، إذاً، وكيف تمكنوا من منازلة أهل الحديث والحداثة والعلوم والتكنولوجيا؟ هنا إجابة بوش: «إن الشيء الوحيد الحديث في رؤيا هؤلاء المتشددين هو الاسلحة التي يستخدمونها ضدنا. وأما ما تبقى من رؤيتهم السوداء فلا تعرفه إلا الصورة الزائغة عن الماضي، وإعلان الحرب على فكرة التقدم بذاتها. وأياً كانت الحصيلة القادمة في الحرب على هذه الأيديولوجيا، فإن النتيجة ليست محط شك: أولئك الذين يكرهون الحرية والتقدم قد حكموا على أنفسهم بالعزلة، والانحسار، والانهيار. ولأن الشعوب الحرة هي التي تؤمن بالمستقبل، فإن الشعب الحر هو الذي سيمتلك المستقبل».

وبين الاستهلال والخاتمة، ولكي لا تنقطع سلسلة التداعيات المذكرة ببلاغة الحرب الباردة ويتم رشقها سريعاً على مستقبل هذه القرن بأسره، أعاد بوش التشديد على ما يستهويه أكثر فأكثر في حكاية الحرب على الإرهاب: «أن الأيديولوجيا الإجرامية للإسلاميين الفاشيين هي محك القرن الجديد الذي نعيشه. غير أن هذه المعركة تشبه، في أوجه كثيرة، الكفاح ضد الشيوعية خلال القرن المنصرم. فالراديكالية الإسلامية، تماماً كالأيديولوجيا الشيوعية، تتصف بأنها نخبوية، تقودها طليعة تعين ذاتها بذاتها، تنطق باسم الجماهير المسلمة. بن لادن يقول إن دوره تعليم المسلمين ما هو خير لهم وما هو ليس بخير. وما يعتبر هذا الرجل، الذي تربى في الرخاء والثراء، خيراً لفقراء المسلمين ليس سوى أن يصبحوا قتلة وانتحاريين. وهو يؤكد لهم أن طريقه هو وحده الدرب إلى الجنة، رغم أنه لا يسير فيه هو نفسه».

تخيلوا الرئيس الأمريكي (الجزار الأول خلف كل ما حاق بأهل فلسطين والعراق ولبنان من عذابات في الحقبة الراهنة) نصيراً لفقراء المسلمين ضد أغنيائهم، وليس الاغنياء من طراز فاسدي الانظمة العربية من حكام وزبانية بل ذلك الغني الذي يُدعى اسامة بن لادن! تخيلوه، قبلها، نصيراً للمسلمين من مذاهب أخرى (شيعة قانا وعيتا الشعب وعيترون والجنوب اللبناني بأسره، مثلاً؟)، ضد المسلمين الراديكاليين الفاشيين! ثم تخيلوه وهو يبدو كمَن يزاود على بلاشفة روسيا مطلع القرن الماضي، في التعبئة الطبقية!

مساجلة هذا النسق في التفكير، وهو كما أسلفنا شائع واسع النطاق هنا وهناك في أوروبا والولايات المتحدة، تظل أشبه بالنفخ في قربة مثقوبة، والطائل الوحيد من ورائها قد يكون تذكير الذات بأن الماضي يجرجر أذياله على الحاضر دون عناء، ويرخي سدولاً ثقيلة على المستقبل كذلك. فإذا كان الإسلام، مثل اليهودية والمسيحية، نتاج المشرق وعقيدة مئات الملايين في مشارق الأرض ومغاربها، فإن الفاشية نتاج أوروبي صرف انفلت من عقاله الفكري والفلسفي ذات يوم فامتدت عواقبه الكارثية إلى مشارق الأرض ومغاربها. ألم يكن كافياً أن يستعير الغرب مصطلح «الأصولية» من التراث الديني والفقهي اليهودي ـ المسيحي الغربي، لكي يصبح مقتصراً على تشدد المسلمين وحدهم، والإسلام حصراً؟ هل سننتظر، في القريب العاجل، مصطلحات مثل «الإسلامو ـ نازية»، و«الإسلامو ـ شيوعية» والإسلامو ـ ماسونية؟ وكيف، في تفاقم حال كهذه، يمكن الحديث عن أي أفق لردم الهوة الثقافية بين الشعوب والحضارات والديانات والعقائد؟

والمرء يتذكر، ليس دون مرارة بالطبع، أواخر العام 1999 حين بدا وكأن الولايات المتحدة بحاجة إلى «سلام ثقافي» طويل عريض من أجل تحليل مغزى عبارة من ثلاث كلمات، هي بالضبط: «توكلت على الله»، نطق بها الطيار المصري جميل البطوطي قبل أن تسقط طائرة البوينغ 767 في ظلمات محيط الظلمات. ومن عجائب المصادفات أن الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون بدا محتاجاً شخصياً إلى هذا السلام، وهو يتصدر رؤساء وقادة وممثلي 54 دولة تقاطروا في الفترة ذاتها إلى أسطنبول، في تركيا، للمشاركة في أعمال قمة المنظمة الأوروبية للأمن والتعاون.

«توكلت على الله» في اللغة العربية وفي السياقات السلوكية اليومية شيء، وهي في عرف المترجم الذي يعمل لصالح مختلف مؤسسات القرار الأمريكية (البيت الأبيض، وزارة الخارجية، مكتب التحقيق الفيديرالي، المخابرات المركزية...) شيء آخر مختلف تماماً. السياق الأول دعاء وتضرع واستغاثة وعبارة دارجة في المعيش اليومي، وأما الترجمة الأمريكية فهي أي أو كل الاحتمالات التالية: وصية انتحار، أو علامة اختلال نفسي، أو إشارة إلى احتمال وجود عمل إجرامي. وأما «السلام الثقافي» الوحيد الصالح فهو ذاك الذي يحسم هذا الخلاف اللغوي ـ التأويلي، على نحو يقطع الطريق أمام انجرار مصر والولايات المتحدة إلى «حرب ثقافية» من جانب أول، كما يرتب ـ في جانب ثان أشد أهمية ربما ـ أمور الشركة الأمريكية العملاقة الصانعة لطائرات بوينغ... يرتبها على أحسن وجه، تجارياً وتكنولوجياً وثقافياً أيضاً.

الأمور بخواتيمها بالطبع، وكان ينبغي انتظار انكشاف المزيد من الحقائق قبل المسارعة إلى إعلان المسؤولية البشرية، أو المسؤولية التكنولوجية. الأكثر يسراً وسهولة وسرعة كان توجيه المسؤولية العقائدية، كما يتوجب أن يذهب التعبير، حتى إذا كانت نتائج تلك المرحلة المبكرة من التحقيقات لا تتناسب البتة مع حجم الحملات الإعلامية الأمريكية التي كانت تتلهف على التجريم العقائدي للطيار المصري. والحال أنها فعلت ذلك في غمرة مناخات درامية مشحونة للغاية، مثيرة وتشويقية كما يليق بالنماذج ما بعد الحداثية في أدب الخيال العلمي ـ النفسي، وعنصرية متغطرسة جاهلة حيث «الإسلامو ـ فاشية» هي العدو البديل عن الفاشية ذاتها، ومثلها أيديولوجيات أخرى كالشيوعية والنازية!

في الحقبة ذاتها، في مثال ثان يذهب بنا إلى قلب أوروبا هذه المرة، غير بعيد عن موطن الفاشية، بدا أن مسلمي البلقان هم أول دافعي الأثمان الباهظة لقاء سلام أهلي فرضه ذلك النوع المرتبك والسطحي والتقسيمي من «دبلوماسية الكولاج» الذي يحلو للحلف الأطلسي، والولايات المتحدة في الطليعة، اعتماده وتسويقه بالقوة السياسية والعسكرية. وبدا أن مسلم كوسوفو هو وقود النار التي اشتعلت واتسع أوارها، وهو الضحية شاء أم أبى، أكان علمانياً أم أصولياً أم مجرد مؤمن بريء برسالة سماوية هي الاسلام، وسواء سار خلف المعتدل إبراهيم روغوفا أو حمل السلاح وقصد الجبال القصية دفاعاً عن قضية قد يدرك أنها خاسرة سلفاً.

في تلك الحقبة كانت حقائق التاريخ الراسخة القادمة من معركة سقوط كوسوفو سنة 1389، وكما استذكرها للعالم المؤرخ الأمريكي نويل مالكولم في كتابه «كوسوفو: تاريخ موجز»، تعيد ربط الماضي بالحاضر:

1 ـ الكثير من الصرب الأرثوذوكس، وكذلك المسيحيين من أبناء الطوائف الأخرى، قاتلوا في صفوف المسلمين، ليس انحيازاً لدين أو لمذهب على مذهب، بل لأن صربيا كانت آنذاك حلبة لتصارع الأمراء والنبلاء، تماماً كما كانت عليه الحال في الأندلس عند دخول المسلمين.

2 ـ الأمير شتيفان، ابن الملك لازار وأحد أكبر رعاة الفنون والثقافة في تاريخ الصرب، انضم إلى الأتراك بدوره بعد مقتل أبيه، ليس محبة بالعثمانيين، بل اتقاءً لشر أبناء جلدته من الأمراء الخصوم.

3 ـ الحكم العثماني، وطيلة القرنين الأولين، كان متقدماً في تقاليد التسامح الديني والثقافي على حكم الأمراء، وكانت أنظمة الجزية أكثر إنسانية من أنظمة القنانة الإقطاعية التي سادت في صربيا طيلة قرون. ولقد سُمح للمسيحيين واليهود بممارسة شعائرهم الدينية بحرية تامة، وأجيز لهم الإنخراط في الجيش العثماني واحتلال مناصب قيادية عالية.

هل حالت هذه الحقائق دون أخذ المسلم البوسني بجريرة أنه مسلم بالولادة ومسلم بالجنسية ومسلم بالعقيدة... في آن معاً؟ وأما على الأرض، في غمرة انخراط الحلف الأطلسي بتحقيق «سلة» أغراض تكفل ولادة «بلقان جديد»، تماماً على النحو الغائم الذي ترطن به وزيرة الخارجية الامريكية اليوم عن «شرق أوسط جديد»، فتبين سريعاً أن السلة الوحيدة التي تتحقق هي التالية: مجازر، مقابر جماعية، عمليات أرض محروقة (أو «قرى محروقة» عن بكرة أبيها إذا شئنا الدقة)، تطهير إثني بوسيلة التهجير المباشر وغير المباشر، وتعاظم غير مسبوق في أعداد المنضمين الجدد إلى جيش تحرير كوسوفو!

وهكذا، لا يتغذى أي إرهاب من أية عقيدة، دينية أو سياسية أو فلسفية، كما يتغذى على الهوة الثقافية الفاغرة بين القوي والضعيف، وعلى السخط العميق الناجم عن غياب العدل الإجتماعي، وامتهان الظالم للمظلوم، وسلب الحقوق، وتحقير العقائد... وهل ثمة، بعد هذا كله، حاجة لأية «إسلامو ـ فاشية»؟

* كاتب وباحث سوري يقيم في باريس

هل افتعلت الحكومة البريطانية الحدث؟

السنوسي بسيكري *

■ الحكومة البريطانية شريك أساسي في ما يسمى بـ«الحرب على الإرهاب» لتماهي مواقف لندن مع واشنطن ولأنها أصبحت مستهدفة من قبل بعض الشباب المسلم داخل الأراضي البريطانية كرد على مواقفها تجاه أبرز القضايا التي تهم المسلمين في العالم حيث لم يعد التهديد وشيكا بعد أحداث السابع من تموز (يوليو) العام الماضي بل حالة واقعة وقابلة للتكرار ما دامت الحكومة مصرة على متابعتها للسياسة الخارجية الأمريكية ولا تريد أن تعيد النظر في الإجراءات التي تتبعها داخليا لمواجهة هذا التحدي.

القول باحتمال أن يكون ما أعلن عنه من كشف شبكة «إرهابية» تخطط لخطف طائرات متجهة من بريطانيا إلى الولايات المتحدة وتفجيرها هو من نسج المخابرات البريطانية له ما يبرره، إلا أنه اختيار له تبعاته الكبيرة والخطيرة وبالتالي فهي مغامرة ليس من السهل الاقدام عليها. تبرير القول بافتعال الحدث ممكن في حال النظر إلى مأزق الحكومة الداخلي والخارجي مرورا بالحرب في افغانستان والعراق والموقف المشين من العدوان الإسرائيلي على الفلسطينيين وانتهاءً بحلفها مع حكومة المحافظين الجدد المتشددة والمتهورة والذي أخذ شكلا قبيحا جدا الأسابيع الماضية بالنظر إلى موقف الحكومة البريطانية من أعتداء إسرائيل على لبنان. فقد أصبح هذا الحلف مصدر قلق ليس فقط لجموع الناس أو المعارضة بل وحتى أصوات أعضاء برلمانيين من الحزب الحاكم وأعضاء في الحكومة، وبالتالي فإن رئيس الوزراء، توني بلير، في حاجة لتحريك الأوضاع للتخفيف من الضغوط التي تقع عليه واسترجاع التأييد والدعم الشعبي اللذين خسرهما جراء سياساته الفاشلة خلال الأعوام الثلاثة الماضية.

السياق التاريخي يشير إلى أن تعويل الحكومة البريطانية على التضخيم والتهويل لتحقيق بعض المكاسب السياسية أو لمعالجة المشاكل التي تواجهها هو نهج متبع، فقد وجّهت شخصيات تنتمي إلى حزب العمال وحزبي المعارضة، المحافظين والديمقراطيين الأحرار، إتهامات إلى بلير العام قبل الماضي باللعب على وتر التخويف من الإرهاب لأجل ضمان تعزيز فرص فوز حزبه في الانتخابات في ايار (مايو) 2004. كما أن تعليقات وانتقادات الساسة والمحللين على تصريحات بيتر هين وزير الحكومة، والذي دافع عن سياسة مرؤوسه، تركزت حول القول بتعسف الحكومة البريطانية في استدعائها الحالة الأمريكية في غير موضع، واستخدامها للتكتيك الذي تبناه الجمهوريون في الانتخابات الأمريكية الماضية لأجل عزل خصوم الحكومة من المعارضة. حديث الساسة البريطانيين العام قبل الماضي تركز حول ما أسموه «سياسة الخوف أو الإرجاف»، فقد اعتبرت بارونس كاندي، عضوة مجلس اللوردات عن حزب العمال وذلك في تعليقها على سياسة حزب العمال التي كشف عنها خطاب الملكة العام قبل الماضي أن استخدام الحكومة الأمن وضمان الحماية ضد هجمات إرهابية هو من قبل التعمية عن فشل سياسات الحكومة الداخلية والخارجية. وهو نهج مخادع وانتهازية تنتزع تأييد قطاع كبير من الأمريكيين وحتى الأوروبيين الذين يجدون في ممارسات فردية وحوادث جزئية، تضخمها دينصورات الإعلام الغربي الموجه، ما يدفعهم إلى السكوت عن هذا التواطؤ المفضوح، ولهذا يعول عليها صناع القرار في الأوقات الحرجة.

من ناحية أخرى فإن الحكومة البريطانية وقعت في جملة من الأخطاء السنة الماضية تتعلق بمواجهة الإرهاب كحملات القبض على شباب مسلم والتي رافقتها دعاية واسعة عن خطط لتنفيذ عمليات إرهابية، من ذلك مجموعة غاز الرايسن جنوب لندن، والأخوان البنغاليان في فورست غايت عندما داهمت بيتهما قوة مكونة من 250 عنصرا من البوليس بحثا عن جهاز تفجير كيماوي، فقد ثبت زيف المعلومات التي قدمتها الاجهزة الاستخباراتية. وقد قوبلت هذه الممارسات بتبرم من قبل قطاعات واسعة في المجتمع البريطاني بشكل عام والجالية المسلمة بشكل خاص الأمر الذي يجعل من التعويل على افتعال أحداث تتعلق بالكشف عن مخططات إرهابية مجازفة ذات كلفة سياسية واقتصادية واجتماعية باهظة على الحكومة قبل الدولة. قرارات الحكومة المرتبكة ومعلومات الأجهزة الاستخباراتية غير الدقيقة وممارسات البوليس البريطاني غير المسؤولة حيال موجة «الإرهاب» أفضت إلى حالة من عدم الثقة لدى المواطن ونتج عنها ذعر لا مبرر له وكراهية تهدد النسيج الاجتماعي البريطاني. يضاف إلى ذلك الضغوط الشديدة التي تقع على الجالية المسلمة والشباب المسلم والذين يعتبرون أنفسهم ضحية لسياسات الحكومة الخارجية والداخلية مما يعني زيادة حالة الاحتقان وازدياد عدد من يجنح منهم إلى العنف كرد فعل.

علاوة على ذلك فإن تسريب معلومات غير صحيحة كهذه له كلفته الاقتصادية بسبب ما يترتب عليها من حرمان الاقتصاد البريطاني من مليارات من الدولارات كعوائد السياحة التي لابد وأن تتضرر بسبب ما أعلن عنه. فبريطانيا خامس وجهة سياحية في العالم وتستقبل ملايين من السياح الأمريكان الذين يجلبون قرابة خمسة مليارات دولار سنويا للخزانة البريطانية هؤلاء حتما سيبحثون عن بديل أكثر أمنا من اليوم فصاعدا وقس على ذلك غيرهم من السياح. لهذا يصبح من غير المنطقي الإقدام على افتعال الحدث إلا في حال رجحان تفسير أن بلير مستعد للتضحية بالكثير من أجل أن يخرج من المأزق الذي يواجهه، في هذه الحالة، وحتى تفصح التحقيقات عن جديد ويقول القضاء كلمته، يمكن القبول بأن الحكومة توظف بعض المعلومات التي لا ترتقي إلى مستوى «التخطيط لشن هجمات» بل قد تكون من باب التصنت على حديث عفوي تناقله بعض الشباب المشتبه بهم تعبيرا عن تذمرهم من تحالف لندن مع واشنطن في حربها على العراق وتأييدها لإسرائيل، وذلك لأجل التأثير على الرأي العام الذي يتحفظ على وقوف حكومة بلير إلى جانب بوش في الحرب الدائرة في الشرق الأوسط وما اعتبر دعم الحكومة البريطانية للولايات المتحدة في توفير غطاء سياسي لتل أبيب للاستمرار في اعتداءاتها الوحشية على المدنيين والبنية التحتية في لبنان.

* كاتب من ليبيا

احتفال من لا يملك بما لا يستحق

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

الفشل لا أب له كما يقول المثل، أما النجاح فالكل يسرع إلى تبنيه. وهكذا كان حال انتصار حزب الله في لبنان، الذي يسارع حتى من ينكرون وجوده إلى ادعاء مساهمة فيه.

(2)

سورية وإيران كانتا في مقدمة المحتفلين، ويحق لهما ذلك، لأنهما (كما اتهمتهما إسرائيل وكل خصم آخر) هما من دعم حزب الله وأهله لهذا الانتصار غير المسبوق. هذا مع أن التركيز الدعائي على دور إيران وسورية هو من قبيل المبالغة وصرف النظر عن أن ثبات ومهارة مقاتلي حزب الله وكفاءة قيادته هي المسؤولة أولاً وأخيراً عن تحقيق النصر. فكل العالم، بمن في ذلك معظم الحكام العرب، دعموا إسرائيل بالقول والفعل والقنابل الذكية، دون أن ينفعها ذلك كثيراً.

(3)

الجماهير العربية بدورها احتفلت بانتصار انتظرته طويلاً، ولكنه احتفال يشبه، كما كررنا من قبل، احتفال المتفرجين بفوز فريقهم المفضل في كرة القدم، سوى أن مشجعي كرة القدم في الغالب يدعمون فريقهم بالتمويل وشراء التذاكر، ويوفرون له التدريب والاحتياجات الأخرى.

(4)

العرب العاربة والمستعربة، بالمقابل، لم تقدم لمقاتلي حزب الله حتى شربة ماء، بينما اصطف الكثيرون في صفوف المخذلين الذين كانوا يتهمون حزب الله بالتهور وتحميل نفسه ولبنان والعرب ما لا طاقة لهم به. نفس هؤلاء يقولون الآن أنه لم يتحقق نصر ولا من يحزنون، لأن لبنان هدم، وإسرائيل حققت غرضها في إبعاد حزب الله عن حدودها، وإيجاد ساتر دفاعي من الجيش اللبناني والقوات الدولية بينها وبينه.

(5)

حتى بين الجماهير التي كان تأييدها كاسحاً للمقاومة، لم نشهد تقديم أي دعم ملموس للمقاومين، سوى ما هو أضعف بكثير من أضعف الإيمان. ففي حين كان مقاتلو حزب الله يقدمون أرواحهم لتحقيق هذا النصر، وكان لبنان يدفع ثمناً فوق طاقة البشر من الصمود والعذاب، كان الباقون يتفرجون من مقاعدهم أمام شاشات التلفزة، ويهللون مشجعين حيث لا يسمعهم أحد. الغالبية لم تر من الواجب حتى تغيير الأقدام بمظاهرة دعم وضغط على حكوماتها.

(6)

أمة لا ترى من واجبها المشاركة في تحقيق النصر (أو تجنب الهزيمة والكارثة) بأضعف الإيمان، ويتقاعس أفرادها عن تضحية بسيطة بمواجهة هراوات الشرطة، بينما تواجه حفنة من المقاتلين في أصغر بلد عربي أعتى آلة عسكرية في المنطقة، ويهدم هذا البلد على رؤوس أهله، هذه أمة لا تستحق نصراً ولا عزة.

(7)

أمتنا هذه فقدت حقها في العزة والكرامة منذ أن أوكلت الدفاع عنها إلى العسكر المحترفين منذ أيام السلاجقة، مروراً بالانكشارية والمماليك ثم أخيراً من سماهم المرحوم جلال كشك بـ«المماليك الاشتراكية»، فاستعبدها من أوكلتهم للدفاع عنها، قبل أن يسلموها بدورهم إلى غيرهم من الأجانب. وما لم تهب هذه الأمة من غفوتها وغفلتها فإنها لن تفعل سوى استبدال سيد بآخر.

(8)

للأسف فإن «السادة» إياهم هم في موقع أدنى من العبيد، لأنهم تبع لغيرهم. ولكن هذا ليس قدحاً في حقهم، وإنما في حق من يرضى بأن يكون عبداً للعبيد.

(9)

أتمنى أن يعيرني الرئيس بشار الأسد الميكروسكوب الذي رأى به نصف رجولة من وصفهم بأنصاف الرجال، لأنني أجد صعوبة كبيرة في رؤية هذا النصف من حيث أقف. ولكن التساؤل الأكبر هو حول رجولة (وحتى نسوية وإنسانية) من يرضون بأن يكونوا تحت سلطة من يعتبر وصفهم بأنصاف الرجال مدحاً.

(10)

نخشى، إذا لم يتغير الحال، أن يكون التهليل لـ«السيد» حسن نصر الله مجرد مرحلة أخرى في مسيرة أخرى الأمة فيها أقل من متفرج، وأدنى مقاماً من موضع الكرامة الإنسانية، تعيش الذل المطعم بأوهام انتظار المنقذ الفرد الذي يقوم بإنقاذ الأمة من ذل ارتضته لنفسها، دون أن تستحق هذا الإنقاذ أو ترتفع إلى مستواه.

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:

مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:

عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ

فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف/فاكس: 5066089 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637

email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 770594

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel/Fax: (9626) 5066089

Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364